«يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»
(رسالة إلى الدعاة بالتيسير لأعمال الخير وتهوينها على العاملين)

مِنْ كِتَابِ " الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة
" في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة
لِلْشَيْخِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ

إِعْدَادُ مَوْقِعِ دَارِ الإِسْلامِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسَلِّم تسليمًا.

أما بعد: فإنَّ الدعوة إلى الله من أهم الواجبات، ولا بد للداعية من أن يسلك في ذلك أنفع الطرق وأسهل السبل في ذلك، وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن السعدي في كتابه: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، فصلا نافعا تضمن: شرحا لقول النبي صلى الله عليه وسلم «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» [البخاري:96، ومسلم: 1734] فيه توجيه رسالة إلى الدعاة إلى الله بالتيسير لأعمال الخير وتهوينها على العاملين ومراعاة أحوال المدعوين، ثم ذكر فصلا بعده في ذكر مفاتيح الخير

ومفاتيح الشر، ومن ذلك دعوة الناس إلى الله تعالى الاستفادة من كل الأوقات والمناسبات، ولأهمية هذين الفصلين فقد رأى موقع دار الإسلام إخراجهما ونشرهما().

وكانت طريقة العمل هي: نقل كلام المؤلِّف دون أي إضافة أو تعديل.

ونسأل الله أن يجعله خالصا لوجه الكريم، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الثلاثون

«في الصحيحين مرفوعًا: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» [البخاري:96، ومسلم: 1734]

ما أجل هذا الحديث وأنفعه وأجمعه لكل خير؛ وهو يجمع جميع الأسباب التي تنشط العاملين وتبعث عزائمهم على الخير؛ وذلك أن الداعي إلى الخير لا تتم له الدعوة ولا تحصل ثمراتها المطلوبة منها إلا بترغيب المدعوين وتذكيرهم بالأسباب المرغبة، الداخلية والخارجية وإبعاد الأسباب المثبطة حسب الإمكان.

وهي كلها مجتمعة في هذا الحديث الجليل، فإن التيسير لأعمال الخير وتهوينها على العاملين والاقتناع بما تيسر وسمحت به هممهم وعزائمهم، وأمر كل عبد ودعوته بما يناسب حاله وتقتضيه نفسه وطبيعته ويهون عليه، لا ريب في نفعه وسهولة الإجابة إليه، وخصوصا إذا ضم إلى التيسير التبشير بخيره وثمراته العاجلة والآجلة، ونفعه اللازم والمتعدي، فسلوك طرق التيسير والسهولة، وتبشير العاملين وترغيبهم لا ريب في نفعه.

وأما سلوك الطريق المضادة لهذا من التعسير وتصعيب الأمور على الناس، وعدم قبول ما جاء منهم حتى يكمل من كل وجه، فإنه أعظم منفر عن الخير، وأعظم مثبط ومكسل عن الخير، والواقع والتجربة خير شاهد لهذا.

ألا ترى أن الصلاة، وهي أعظم شرائع الدين، وهي العمل الذي يشترك فيه جميع المسلمين، قد أمر النبي ﷺ فيها بما يكون سهلا حتى على العاجزين؛ حيث قال: «أيها الناس، أيكم أم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير والكبير والمريض والضعيف وذا الحاجة» [[البخاري:703، ومسلم: 467].

وقال لإمام أمره بأحكام الصلاة: «واقتد بأضعفهم» [أبو داود: ٥٣١، والنسائي: ٦٧٢، وابن ماجه: ٩٨٧].

وقال أنس: ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم صلاة من النبي ﷺ [البخاري: ٧٠٨، ومسلم: ٤٦٩].

فالتخفيف الذي تتم به الصلاة، ولا يحصل منه إخلال بشيء من أمورها، لا شك في نفعه وترغيبه للمصلي ولمن يصلي خلفه ويقتدي به؛ وقال ﷺ في الخطبة: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مَئِنَّة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وقصروا الخطبة» [مسلم: 869] .المئنة: العلامة

وكان ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم [البخاري: 70، ومسلم: 2821].

وقال ﷺ منكرا على المتبتلين الذين يريدون استغراق زمانهم بالصلاة والصيام والخشونة: «أما أنا فأصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب .[عن سنتي فليس مني» [البخاري: 5063، ومسلم: 1401

وقال ﷺ: «إن لنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزوجك عليك حقًا، فآت كل ذي حق .[حقه» [البخاري: 1975، ومسلم: 1159

ولما بال الأعرابي الجاهل في المسجد وانتهره الناس، زجرهم ﷺ وتركه حتى قضى بوله ثم دعاه وعلمه بلطف ورفق وقال: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا القذر، إنما .[بنيت للصلاة والقراءة والذكر والعبادة» [البخاري: 219، ومسلم: 285

ولما أغلظ له بعض الأعراب الجافين بالقول، وهمّ به الصحابة رضي الله عنهم قال ﷺ: «دعوه» [البخاري: 219، ومسلم: 284]. ثم ألان له القول وبذل له شيئا من المعروف، .فانقاد إلى الحق وحصل المقصود منه

وقال ﷺ للناس: «إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل له راحلة انفلتت منه، فذهب الناس في طلبها سراعا من كل جانب، فلم يزدها ذلك إلا نفورا. فقال صاحبها للناس: دعوني وراحلتي، فلم يزل يناديها ويأخذ من نبات الأرض ليعطيها... فلم يزل كذلك حتى أخذ بزمامها» [ذكره .[الهيثمي في المجمع: ٩/١٥، ١٦، وعزاه للبزار

وكان ﷺ في دعوته للخلق يدعو كل أحد بما يناسب حاله، وبالطريق التي يعلم حصول المقصود منه بها، وأمر أصحابه أن يدعوا الناس بذلك، وقال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» [البخاري: .[2448، ومسلم: 19

وهكذا شريعته كلها مبنية على السهولة واليسر في ذاتها وأحكامها وشرائعها وفي دعوتها .للخلق والأمر والنهي

ومن النصوص الجامعة في هذا النوع قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل: ١٢٥].

{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: ٤٦].

{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: ٤٣، ٤٤].

{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣]. وغيرها من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وعلى هذا: فعلى من أراد التعليم أن يراعي أذهان الطلبة ويعطيهم من الدروس ما يتيسر عليهم فهمه، ويربيهم بصغار العلم قبل كباره، ولا يحمل أذهانهم ما لا يتحملون، وكذلك تعليم الجهال وإلقاء العلوم ينبغي مراعاة الأمور التي يحتاجونها، وأن تشرح لهم شرحا يسهل عليهم فهمه.

وكذلك تمرين الصغار من الأولاد الذكور والإناث على الصلاة وأمور الخير، ينبغي فيه مراعاة قواهم ورغباتهم، وترغيبهم بالقول والفعل والاكتفاء بما تيسر مما سمحت به طبائعهم، وتدريجهم من شيء إلى آخر.

بل وكذلك دعوة المخالفين للدين ينبغي مراعاة هذا الأصل فيها لما يحصل فيه من النفع العظيم، ولهذا أيضا جاءت الترغيبات المتنوعة على أعمال الخير وأقوال الخير، وعلى ترك المحرمات؛ لأنها من أقوى الدواعي إلى توجيه الخلق إلى طاعة الله ورسوله.

*****

الفصل الرابع والثلاثون
في ذكر مفاتيح الخير ومفاتيح الشر

قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: ٢].

وقال تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

وورد عنه ﷺ أنه قال: «إن هذا الخير والشر خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لمن كان مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويل لمن كان مفتاحا للشر مغلاقا للخير» [ابن ماجه: 238]

لا ريب أن الناس في الخير والشر درجات.

{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا} [الأنعام: ١٣٢].

ولا ريب أن أعلاهم درجة من سعى في الخير لنفسه ولغيره، كما أن أسفلهم من هو بالعكس، فينبغي للعبد أن يكون مباركا على نفسه وعلى غيره؛ باذلا مستطاعه في الدعوة إلى الخير والترغيب فيه بالقول والفعل والتحذير من الشر بكل طريق، ولا يحقرن من المعروف شيئًا.

فمن أهم ذلك: تعليم العلوم النافعة وبثها، فإنها مفتاح الخيرات كلها، ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برفق ولين وحلم وحكمة.

ومن ذلك: أن يسن العبد سنة حسنة، ويشرع مشروعا طيبا نافعا يتبعه الناس عليه؛ فكل من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، كما أن من سن سنة سيئة فإن عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

ومن ذلك: بذل النصيحة النافعة في الدين أو في الدنيا، فإن الناصحين مفاتيح للخير مغاليق للشر.

وينبغي للعبد عند اختلاطه ومعاشرته لهم ومعاملتهم أن ينتهز الفرصة في إشغالهم بالخير، وأن تكون مجالسه لا تخلو من فائدة أو من تخفيف شر ودفعه بحسب مقدوره.

فكم حصل للموفق من خيرات وخير وثواب! وكم اندفع به من شرور كثيرة!

وعماد ذلك رغبة العبد في الخير وفي نفع العباد، فمتى كانت الرغبة في الخير نصب عينيه، ونيته مصممة على السعي بحسب إمكانه، واستعان بالله في ذلك، وأتى الأمور من أبوابها ومناسباتها فإنه لا يزال يكسب خيرا ويغنم ثوابا.

وضد ذلك: عدم رغبة العبد في الخير يفوّته خيرا كثيرا.

فإن كان مع ذلك عادمًا للنصح للعباد، لا يقصد نفعهم بوجه من الوجوه، وربما قصد إضرارهم وغشهم لأغراض نفسية، أو عقائد فاسدة، فقد أتى بالسبب الأعظم لحصول المضرات وتفويت الخيرات، وكان هذا الذي يصدق عليه أنه مفتاح للشر، مغلاق للخير، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

ومن أعظم الأصول فتحا للخيرات وإغلاقا للشرور الإيمان التام بالرسول ﷺ؛ فإذا آمن به إيمانا تامًّا، وفهم كلامه ومراده تحقق ما قاله قطعا، وعلم أن ما ناقض ذلك أو خالفه فإنه باطل؛ [{ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ} [يونس: ٣٢].

فهذا يغلق على العبد أبوابا من الشرور فتحها أهل الكلام الباطل عارضوا بها ما جاء به الرسول، ولكن الإيمان التام وفهم مراد الرسول تماما يرد كل ما ناقضه؛ سواء تمكن المؤمن من حل تلك الشبهة التي عورض بها الحق أو لم يتمكن، فإنه قد علم الحق يقينا بلا تردد، فمحال مع هذا أن يقوم شيء ينقض هذا الدين.

وهذا أصل نافع جدًّا قرره شيخ الإسلام في مواضع من كتبه، ومن ذلك ما ذكرناه بقولنا.

*****